

في السلام

الأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

—→—→—→

لا كلمة الآن أشد سحراً وأكثر دورانا على ألسنة الساسة من كلمة السلام ، فهم يرسولونها في خطبهم العالمية والمحلية حتى لتظلمهم ويظلمون أنفسهم خلفاء الرسل في الدعوة إلى سلام الأرض وقد بنوا لهذه الكلمة الساحرة بيتاً عالياً في جنيف له سدنة وكهان وحجاب ، وكل هذا « كالمروض » : بحور بلا ماء ! ولا أعرف ديناً عني بترديد هذه الكلمة على ألسنة أهلهم في الخلوة والجلوة وتثبيتها في طباعهم كما عني الإسلام بل إن الإسلام والسلام كلمتان متداخلتان مادة ومعنى . ويعرف كل من له إلمام بفقهاء اللغة العربية وخصوصاً قانون « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني » أن هاتين الكلمتين ليس بينهما من فرق في المعنى إلا بمقدار ذلك الفرق الضئيل في اللفظ وأنا الآن بمعرض بيان الأسس التي وضعها الإسلام لضمان

الجموع الأتينية لم يكن مجتمعاً دينياً مترمماً ... ودينه لم يفرض عليه طقوساً يومية من العبادات ، وإن كنا نحن تؤمن إيماناً مطلقاً بما لهذه الطقوس من الأثر الجليل في مجتمعنا ... لكنهم هكذا نشأوا ... نشأوا وثنيين في عشقهم للجمال والحرية ومحبة العدل وإيفاء كل ذي حق حقه .. احترموا الموت ولم يفكروا فيما وراءه ، وآمنوا بالقضاء والقدر إيماناً إيجابياً لا إيماناً سلبياً مثل إيمان بعضنا بهما ... ومن هنا نبعت روايتهم ... لقد كان كل ما يأمرهم دينهم به هو تقديم القرابين وعقر الأضاحي ... ثم دفن الموتى ... فن لم يدفن بعد موته أو قتله ظلت روحه هائمة في الظلمات عابسة كسفة حتى يدفن صاحبها فيؤذن لها في دخول هينز ...

هذا كل ما فُرض عليهم من أمر دينهم ... ومع ذلك فقد فهم أحرارهم هذا الدين الأسطوري على وجهه الحق فلم يبالوا أن يزيفوه ويتناولوا آلهته بالنقيد والنخطي والتسفيه والسخرية أحياناً ... كما سيمر بك فيما يلي

دمي محب

السلام في النفس ، وبين الطبقات في الشعب ، وبين الأمم في الأرض

وأول ما يسترعى النظر هو أن تحية المسلمين هي إلقاء كلمة السلام . وما أجد تحية أقرب مناسبة لكل وقت كهذه التحية ، وهي في الواقع بمثابة عهد بين البادي والمجيب ، على ألا يمس أحدهما الآخر بسوء . وفي البادية يفهمون لها هذا المعنى الجميل فيرافق المجيب البادي إلى آخر حماه حتى لا يصاب بسوء مادام في حماه ، بعد هذا التعاقد

وفي الصلاة الإسلامية ترديد كثير للسلام ؛ حتى ليصح أن نطلق على التشهد « نشيد السلام » ففيه سلام على النبي صلى الله عليه وسلم وفاء له وذكري بين يدي الله ، و سلام على النفس لبعث الطمأنينة وإشاعة معناها في الروح وإحياء ذاتي إلى القلب بذلك المعنى ، كما يشير بذلك علم النفس الحديث ، و سلام على العباد الصالحين يرسله المصلي إليهم في غيبتهم وغيوبته هو في مقام الله ، وكأنه يتمهد أمام الله ألا يمس أحداً من رجال الإصلاح بسوء ، ثم تنتهي الصلاة بسلام عن اليمين والشمال يستأنف به المصلي عودته إلى ملابسة أمور الحياة . ذلك موقف هو أعظم مواقف التصفية للنفس المسلمة في حياتها اليومية ، فلينظر فيه علماء النفس ويدينوا أي قوة تربية أوحى بمعاني السلام منه ؟

ثم يعمد الإسلام إلى تثبيت معنى السلام من طريق العظة بالقول بعد أن أوحى به في العبادة فيصنف المسلمين بأنهم « إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلية » « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » إلى آخر النصوص التي تفيض بها صراجع الإسلام

ولما قامت دولة الإسلام بالمدينة وابتدأت الحياة السياسية للمسلمين شرع الله شرائع الحرب والسلام حتى لا يسير المسلمون وراء السياسة وهي فاجرة قاسية ، فتأدى نداء عاماً « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » « ولا تقولوا لمن أتى إليكم بالسلم لست مؤمناً » وقد نهى وحذرت من الخداع واتخاذ اليهود والموائيق تمويهاً وغشاً : « وأوفوا بعهدهم الله إذا عاهدتم

ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها « ولا تكونوا كالتى نقضت
عزلهما من بعد قوة أيمانكما » « ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم
أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يلوكم الله به »

وهنا نقف قليلاً لنفكر في هذه الآية العجيبة التى تلخص كل
مشاكل السياسة وبخاصة في هذا العصر . فنحن على علم الآن
بأن كل ما يوقع الأمم في جحيم الحرب هو عدم الثقة المتبادلة
فكل دولة لها موانئ مستورة وموانئ علنية ، والاعتماد الأكبر
على المحالفات السرية ، وكل دولة متهمه عند الأخريات ، وكل دولة
تريد أن تكون أربى وأكثر عدداً وقوة ومنافع من الأخرى ،
فهم قد اتخذوا موانئهم وعمودهم دخلاً وغشاً بينهم فلا ترك ثقة
ولا تدفع شكاً ، وكل هذا للمادة والمال « لتكون أمة أربى من
أمة » لا لخدمة مثل أعلى ، ولا لعلم أو معرفة ، ولا شك أن هذا
بلاء كبير كما يعبر القرآن

فانظر كيف يدخل الإسلام إلى السياسة بهذه الروحانية الجميلة
التي هي سر نجاح مياسة العرب في تعريب الأمم وإسلامها
ويعد القرآن اتخاذ المهود والموانئ دخلاً وخداعاً وغشاً ،
زلة قدم بعد ثبوتها ، وذلة تحت حكم سوء ، وصدأ عن سبيل الله
« ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فترزق قدم بعد ثبوتها وتدوقوا
السوء بما صدقتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم »

ولم أر القرآن يؤكد معنى في موضع واحد منه وفي آيات
متلاحقة وفي بيان يدير المعنى على اختلاف وجوهه ويستبين على
توكيده بالتشبيه والتمثيل كما رأيت في هذه الآيات التى تحض على
الوفاء وتنعى عن الخداع في السياسة بين الأمم ... !

وأحب ألا يفهم قارى أن القرآن يدعو إلى الضعف والنفلة
بإدخاله الروحانية في السياسة ، فإن هذا فهم خاطئ . فقد دعا
الإسلام إلى الأخذ بأسباب القوة ما وسعت الطاقة « وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة » . « وإما يخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم
على سواء » . « وليجدوا فيكم غلظة » ... « المؤمن القوى خير
من المؤمن الضعيف »

وإنما هي رحمة الأقوياء ، وعبقرو القادرين ، وسلام تحت
ظلال السيوف ...

• بغداد - الرسنية • عبد المصم محمد خروف

من برج بابل

أسعد ساعاتى وأحفظها بالعبر والتأمل ، حين أجلس إلى
طفلى . فأعمد أنا إلى إبرق الطويلتين دائبة على صنع قطعة
من النسيج ، ويفرغ هو إلى الدثى واللعب كأنه ملك عابث ،
فهو منهمك أبدأ في تدير دولة من لعب ، فتارة يقسم فصائل
جيشه وينصب عليهم القواد ويدعوم إلى القتال والجهاد ،
وطوراً يزف الملك إلى الملكة ، وأحياناً يحرك القطار على
القضيب . وهو في هذا كله نشيط دائم الحماسة والحركة ، يزعم
بلغة غربية عناء ، كأنما لا يفهمها غير عالمه الصغير وعيته الجمادة !
ثم لا يلبث أن يعتره الملل والسآمة وتسيطر عليه غريزة
عجيبة ، فيهدم عرشاً نصبه ، ويعثر جنوداً مدربة منظمة ،
ويصدم عربات قطاره ، ويهرع إلى محتجاً متبرماً ، يطلب
عالمًا جديدًا أو إن شئت لعبة جديدة . وبأى قدرة أستطيع
أن أمدد على الدوام بموالم لا متناهية متجددة في كل
لحظة ! فإذا شعر منى بالمعجز عن الخلق والإبداع انصرف
إلى دنيانا نحن الكبار : فيجذب الزهرية المستقرة
في رشاقة على المنضدة ويهوى بها إلى الأرض ؛ وإلى الورد
فيبعث بأوراقه ، ويمد إلى الستار السدل على النافذة فيهدله ،
وإلى زجاجها فيحطمه ؛ ويسمى إلى القنطار الجميل الوديع فلا يزال
يستدرجه ، حتى إذا تمكن منه حاول خنقه بيديه الدقيقتين .
لشد ما يجهد أعصابى هذا الخلق الصغير الجبار ! إنه لا يهدأ ،
إنه لا يستقر . ولا يحل له غير التدمير والبث بنظامنا .
لا توقفه تطرق الحادة المهددة ، ولا تهده بسمتى الحنون
الرفيعة ، ولا يتنيه ما أقدم من خلوى .

ألا إن في الأطفال حافزاً عجيباً يدفعهم على الدوام إلى
هدم ما هو قائم ، وإفساد ما هو قائم ، وتحليل ما هو مركب .
وحين ألقى النظر على يدي وهما دائبتان في نسج الحياة ، وعلى
آثار الحطام التى أترها بعالى طفلى الصغير ، أشعر بالفارق
الهائل بين الأمومة العاملة والطفولة الهادئة

هؤلاء الصغار ، فلذات أكيادنا ، يولدون في الحياة بمشاعر
جديدة ، وطبائع جديدة ، وأفكار جديدة ، وآمال جديدة ..
فلا يطيب لهم أن يبقوا على ما صنعت الأمهات وما بذل الآباء ؛
فترام يحطمون في لحظة عالنا ، ثمرة كدنا وعمرنا وجهدنا ،
كما لو كان صنماً قديماً سخفت عبادة ! ماري نسيم